جامعة محمد خيضر – بسكرة -

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في مقياس النص الشعري المغاربي

السنة الثالثة / دراسات أدبية

أستاذ المادة: د/ سامية بوعجاجة

السنة الجامعيــة : 2019 / 2020

المحاضرة الأولى:

مفهوم الأدب المغاربي:la littérature maghrebine

هو مصطلح استحدثه الفرنسيون ، ويقصد به ذلك الأدب الذي كتب في الأقطار المغاربية الثلاث:(الجزائر، تونس والمغرب الأقصى) إبان الفترة الكولنيالية لهذه الأوطان، سواء من

أو من طرف كتاب هذه البلدان بلغة طرف فرنسيين تربوا ونشأوا بهذه البلدان(كألبير كامي) ولسان فرنسي.

ويعبر من خلاله الكاتب عن واقع اجتماعي، يتسم بالعبودية والظلم والقهر والفقر والاحتقار من طرف الآخر(الفرنسي) لأن هذا الأدب قيل في فترة الاحتلال الفرنسي ، فصور الواقع السياسي والتاريخي والاجتماعي للبلدان المغاربية.

ومن أشهر الكتاب، نجد الروائي(مولود فرعون، مولود معمري ، كاتب ياسين ، محمد ديب ، آسيا جبار، رشيد بوجدرة في الجزائر)

وفي تونس نجد: محمد عزيزة، الطاهر بكري. وفي المغرب:إدريس شرايبي ، محمد خير الدين ، الطاهر بن جلون[1]

ولما كانت مشكلة الهوية مطروحة في هذا الأدب ، حول كونه فرنسيا بوجدان عربي، أم عربي بلسان فرنسي ، يعبر من خلاله الأديب عن رحلة عذاباته، وآلامه وألام أمته في ظل القهر والاستعباد والتسلط.

وقد برز هذا المصطلح في فترة الخمسينات من القرن الماضي(النصف الأول من الخمسينات في القرن الواحد والعشرين)

والمقصود هنا بالشعر المغاربي، هو ذاك الشعر الذي كتب باللغة العربية في الأقطار المغاربية ، وصور مختلف المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية...

الشعر الجزائري في عصر الأمير عبد القادر الجزائري:

غلب على الشعر في هذه الفترة التقليد والجمود ، وركن كثير من الشعراء إلى القصائد القديمة يجترونها وينسجون على منوالها من حيث اللغة والأسلوب والمضامين.

ذلك أن الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي، كانت تخضع – كغيرها من الدول المغاربية باستثناء المغرب الأقصى- لسلطان الدولة العثمانية، وهي فترة ممتدة من سنة(1518-إلى1830)

وانقسم الوجود التركي إلى عهود أربعة وهي :

1/ عصر البايلربايات من (1518-1587)

2/عصر الباشوات من (1587-1659)

[1]ينظر: Paul aron et autres, le dictinnaire du litteraire, presses universitaires de France,paris,3edition,2002,p449

3/عصر الآغوات من(1659-1671)

4/عصر الدايات من(1671-1830)[1]

فالأتراك لما سيطروا على الجزائر أهملوا الحياة الثقافية بصفة عامة، كما زهدوا في اللغة العربية. لأن اللغة التركية كانت اللغة الرسمية المتداولة بين السلاطين والحكام, ولذلك اقتصر العمل بها على أصحاب الطبقة السياسية. أما اللغة العربية ، فكانت المساجد والزوايا والكتاتيب متنفسها الطبيعي من الاندثار، كما حفظت على تراثنا الديني من الضياع.

ولذلك عرف الشعر في هذه الفترة بالجمود والتقليد المتكلف، وانحصر الشعر نتيجة تعلقه بالمساجد والزوايا " في الأغراض الدينية ، فتشابهت نصوصه ، فإذا هي لون واحد ، وإذا هي في الأغلب الأعم تتجه إلى مدح المشائخ والكبراء ، والتغني بمآثر الأولياء والصالحين، والتغزل في الذات الإلهية ، والتوسّل بمدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآل البيت ، وغيرها من الموضوعات التي لاتخرج عن هذا النطاق الصوفي الديني" [2]

كما نجد أغراضا تقليدية في روحها وأساليبها، كالغزل والفخر " القائم على التباهي بالأجداد والأنساب ، والتذمر من العصر وأهله بطريقة، متهافتة ضعيفة، إلى جانب المجاملات، والإخوانيات ، مثل التهنئة بمولود أو بترقية، أو بوسام، أو بمناسبة عيد، أو للتعزية في مصاب ، بل إنّ هذا الشعر ليتردى إلى مدح الحكام الفرنسيين بطريقة فيها نفاق وتملّق ، بأسلوب قريب من العامية لا أثر للشاعرية فيه " [3]

أما عن لغة الشعر فهي أقرب إلى اللغة الشرعية منها للغة الشعرية ، ولعل مرد ذلك هو الثقافة الدينية الفقهية التي طبعت كثيرا من شعراء هذه الفترة ، وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الجزائري.

الأمير عبد القادر الجزائري، حياته وشعره(1807-1882):

هو الأمير عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى ، ولد بالقيطنة بناحية معسكر التي كانت تابعة لإقليم وهران . تعلّم على يد والده ، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، كما درس علوم اللغة والدين على يد علماء بلدته ، وبعدها ارتحل إلى وهران ليتابع دراسته الشرعية والعلمية .

قرأ الأمير الشعر القديم ونهل من موارده العذبة ، فراقه من التراث شعر الحماسة والفخر، ووصف ميادين القتال ، والتغنّي بالبطولات ، والإشادة بجنوده الشجعان.

[1] ينظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،ج1،ط5،دار البصائر،الجزائر،2009م،ص16

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث "اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975 "،ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2006،ص 19

[3] نفس المرجع ، ص19

تأثر بهذا الشعر، وراح يصور حياته الحافلة بالأمجاد والبطولات ، وهو في شعره إنما يرسم ملامحا عامة عن شخصيته في جهادها ونضالها وحربها للأعداء ببسالة وصلابة ، وفي إنسانيتها المتشبعة بفضائل المروءة والإحسان، والصدق والرحمة ، وفي روحها العالية التّي تنهل من موارد الإيمان والتقوى، ومن فيض بحر التصوّف.

ففي الغزل، يتجلى تأثره بعنترة بن شدّاد وأبي فراس الحمداني والمتنبي..،ففي قصيدته الدالية يصوّر شوقه لزوجه ، وقد نأت بينهما المسافات ، فيقول:

أقولُ لمحبوبٍ تخلّفَ من بعدي * عليلاً بأوجاعِ الفراق وبالبعدِ

أما أنتَ ـــ حقًّاـــ لو رأيتَ صبابتي * لهان عليكَ الأمرُ من شدّة الوجدِ

وقلتُ: أرى المسكينَ عذّبهُ النّوى * وأنحلهُ ـــ حقًّا ـــ إلى منتهى الحدِّ

ولستُ أهابُ البِيض كلاّ ولا القنا * بيومٍ تصير الهامُ للبيض كالغمد

وقد هالني زحفُ الصفوفِ وصوتُها * بيومٍ يشيبُ الطفلُ فيهِ مع المُردِ

وقد هالني،لا بل أفاض مدامعي * وأضنى فؤادي بل تعدّى عن الحدِّ

فراق الذّي أهواهُ كهلاً ويافعا * وقلبي خليٌّ من سعادٍ ومن هندِ [1]

وكثيرا ما يمزج الغزل بالحماسة ؛ ذلك أنّ الأمير رجل ميدان ، حارب الفرنسيين طيلة سبعة عشر عاما ، وقاد الجزائريين بنفسه في معارك بطولية شهيرة ؛ كالمقطع والتافنة وخنق النطاح وغيرها من المعارك" والأمير مخلص وصادق في شعره الحماسي ، لأنه يتخيّل المعارك تخيّلا ، بل يصف ما رآه ، وعاناه وقاساه ، وصف الخبير الذي خاض المعارك ،

ومارسها ممارسة الجندي والقائد " [2]

ولذلك في فخره تتجلّى معاني الشجاعة والنجدة ، وذكر النسب الأصيل الممتد إلى دوحة النبوّة الوارفة المباركة .

يقول في قصيدته اللاميّة ، مفتخرا بشجاعته وحنكته في الحروب ، واستبسال جنوده أمام قوات فرنسا الزاحفة على بلادنا، داعيا في نفس الوقت إلى سؤال فرنسا عن بطولاته المشهودة والاعتراف ما شهدت به الأعداء:

---

1 الأمير عبد القادر الجزائري ، ديوان الأمير ، تحق: زكريا صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 144،145 ، 146

2 فؤاد صالح السيّد ، الأمير عبد القادر الجزائري متصوّفا وشاعرا ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب ، ص 201

لنا في كلّ مكرمةٍ مجالُ * ومن فوقِ السِّماكِ لنا رجالُ

ركبنا للمكارمِ كلّ هولٍ * وخُضنا أبْحرا ولها زِجالُ

إذا عنها تَوانى الغيرُ عجزًا * فنحن الرّاحلون لها العجالُ

سوانا ليس بالمقصودِ لمّا * ينادي المستغيثُ: ألا تعالوا

لنا الفخر ُ العميمُ بكلّ عصرٍ * ومِصرٍ هل بهذا ما يقالُ ؟

رفعنا ثوبَنا عن كلِّ لُؤمٍ * وأقوالي تصدّقُها الفِعالُ

ورثنا سُؤددًا للعُرب يبقى * وما تبقى السماءُ ولا الجبالُ

فبالجدِّ القديم علتْ قريشٌ * ومن فوق ذا طابت فعالُ

وكان لنا ـــ دوام الدّهرـــ ذكرٌ * بذا نطق الكتاب ولا يزالُ

لهم هممٌ سمت فوق الثّريّا * حماةُ الدّينِ دأبُهُم النضالُ

سلوا، تخبّركم عنّا فرنسا * ويصدقُ إن حكتْ منها الفعالُ

فكم لي فيهم من يومِ حربٍ * بهِ افتخرَ الزّمانُ ولا يزالُ [1]

أمّا في مجال التّصوّف ، فهو فارس لا يشقّ له غبار؛ وكتابه (المواقف الروحية والفيوضات السّبوحيّة) خير دليل على ذلك .

وقد تأثّر بأشياخ الصّوفية الكبار **كابن عربي الأندلسي** دفين دمشق، **وابن الفارض وبن سبعين وأبي مدين الغوث التلمساني و السهروردي** ،هذا الأخير حاكاه في قصيدته الحائية، يقول:

أوقاتُ وصلِكم عيدٌ و أفراح * يا من هم الرّوحُ لي و الرَّوْحُ و الرّاحُ

يا من إذا اكتحلتْ عيني بطلعتهِم * و حقّقتْ في محيّا الحسنِ ترتاحُ

غرقتُ في بحرِهم دهرًا ألم ترني * في بحرِهم سفنٌ ـــ حقًّا ـــ و ملّاحُ

ماذا على من رأى ـــ يوما ـــ جمالهم * أن ليس تبدو لهُ شمسٌ و اصباحُ

جبالُ مكّةَ لو شامتْ محاسنهِم * حنّوا و من شوقهِم ناحوا و قد صاحوا

---

[1] ديوان الأمير عبد القادر ، ص257 ،258 ،259 ، 260

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لَأعجبني * صبر المحبّين ما ناحوا و لا باحوا

أريد كتمَ الهوى حينًا فيمنعني * تهتُّكي كيف لا؟ و الحبُّ فضّاحُ [1]

فشعر الأمير من خلال ديوانه صورة صادقة عن حياته في وطنه ، و أسيرا و بعيدا بمنفاه في سوريّة ؛ إذ صوّر شجاعته ، و شوقه لأهله و حنينه إلى زوجه ، كما رسم صورة عن نفسه في إيمانها بالله و يقينها بنصره ، و في أحوالها الصوفية و تكشفاتها في لغتها ومضمونها.

و من خصائص لغته : الفصاحة و البلاغة و جمال التعبير ، الفخامة و الجزالة خاصة في الفخر و الحماسة ، المزج بين لغة رقيقة غزلية و حماسية ، الاستشهاد و الاقتباس من القرآن الكريم و من الحديث النبوي الشريف ، و محاكاة أشعار القدماء كأبي فراس الحمداني و عنترة بن شدّاد و عمرو بن كلثوم..، تكرار الموضوعات التقليدية كالفخر و الحماسة و الغزل و التصوف ، البدء بالبسملة و الحمدلة و الصّلاة و السّلام على رسول الله و الختام بالدعاء في بعض القصائد . كما يعمد إلى لغة قريبة في ألفاظها و تعابيرها من لغة الجاهليين و الإسلاميين ، لا لغة واقعية معاصرة .

المحاضرة الثانية :

بوادر النهضة الإصلاحية في تونس في القرن 19 الميلادي :

شهدت تونس خلال النصف الثاني من القرن 19 ميلادي بوادر نهضة إصلاحية شملت المجالات العسكرية و التعليمية والفكرية.

- ففي سنة 1860 أنشئت **مدرسة باردو العسكرية** ، فكان لها الدور البارز في تكوين نخبة من الضباط التونسيين ، واضطلع أساتذتها وتلاميذها بدور مرموق في ترجمة عدد من المصنفات العسكرية ،كما تخرجت من هذه المدرسة الأفواج الأولى من الضباط التونسيين ممن كان لهم تأثير في الحياة السياسية والفكرية خلال هذه المرحلة.

- إنشاء **المعهد الصادقي** سنة 1876 ، وكان لخريجيه وأساتذته فضل بارز على النهضة التونسية الحديثة ، وتكوين الإطارات الفنية والإدارية للدولة.

- تأليف **لجنة وطنية** سنة 1876 انصرفت إلى إصلاح المناهج التعليمية، وتطوير أساليب الدراسة في جامع الزيتونة ،الذي كان من أعرق المعاهد العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، وحصنا من حصون الإسلام و العربية في ربوع إفريقيا [1]

[1] نفسه ، ص125 ، 126

- إنشاء **المدرسة الخلدونية** سنة 1896، وقد كانت مشروعا ثقافيا تضافرت على إنجازه ورعايته وإدارته جهود ثلة من الوطنيين التونسيين، بغرض إقامة التوازن بين المناهج التعليمية التي كانت تشرف على تسييرها السلطة الفرنسية الاستعمارية ، وبين المناهج التعليمية التقليدية التي كانت سائدة في جامع الزيتونة.

- إنشاء **المطبعة الرسمية** ،وصدور **جريدة الرائد التونسي** سنة 1860 وطباعة عدد من الكتب واستقدام بعض العلماء العرب ممن لهم الخبرة في مجال الصحافة والكتابة كأحمد فارس شدياق ،وحمزة فتح الله ، للإفادة من خبرتهم في إدارة شؤون "الرائد التونسي" ودعم جهود الكتّاب والأدباء التونسيين الذين انتدبوا لفترات مختلفة للإشراف على الجريدة مثل: (محمود قابادو، محمد بيرم الخامس، محمد السنوسي..)

ويعود الفضل الأكبر في رعاية هذه الحركة إلى شخصية المصلح التونسي **خير الدين باشا،** وإلى فترة توليه الوزارة الكبرى(1873-1877) وقد كانت من أخصب الفترات التي رسخت في الأذهان اعتبار الكتابة والنشر مظهرا حضاريا لا يقل تأثيرا في حياة الأفراد والشعوب عن المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وفي فترة الوزير خير الدين باشا نشطت الحركة الفكرية، وفتحت صحيفة **الرائد التونسي** صفحاتها لنشر العديد من القصائد والمقالات،والدراسات المتسلسلة، وفي مقدمتها كتاب(أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) لخير الدين نفسه، وكتاب(الحُلل السندسية)لابن السّراج الأندلسي، وغير ذلك من الكتب القيمة.

على أن هذه الحركة لم تلبث أن تعرضت للانتكاس والانكماش بعد إقصاء خير الدين عن منصبه من الوزارة الكبرى، ومغادرته تونس نهائيا، مما حدا ببعض أتباعه من رجال النهضة إلى هجرة البلاد، إما نهائيا مثلما فعل الشيخ محمد بيرم الخامس وقد انتهى به المطاف في مصر، وإما مؤقتا كما حدث بالنسبة للشيخ محمد السنوسي.

والملاحظ أن **جريدة ومطبعة الرائد** لم يقتصر نشاطها على المراسيم والقرارات الإدارية فقط ، بل نجدها تفتح ذراعيها لعدد من القصائد والمقالات والدراسات ، كما تنوعت موضوعاتها فتناولت : التاريخ والجغرافيا والحضارة والطب واللغة والدين والفكر والسياسة..

كما احتفظت الجريدة بأسماء أكثر من خمسين شاعرا تونسيا من مختلف أنحاء تونس.كما برزت أسماء لامعة في مجال الكتابة في هذا البلد ، منهم: (محمد بيرم الخامس،محمد السنوسي ،محمد بن الخوجة..) [2]

---

[1])- ينظر : مجموعة من الباحثين ، تاريخ الأدب التونسي الحديث و المعاصر، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون ، بيت الحكمة ، تونس ، 1993 ، ص 11

[2])- ينظر : تاريخ الأدب التونسي الحديث و المعاصر ، ص 15

تأسيس جريدة **الحاضرة** سنة 1888 ، وهي أول جريدة وطنية مستقلة ، تولى تحريرها ثلة من رجال الإصلاح مثل: محمد السنوسي ، محمد بن الخوجة وسالم بوحاجب إلى جانب أسرة تحرير الجريدة، ممثلة في شخصيتي : علي بوشوشة والبشير صفر.

هذا عن الحياة الفكرية ، أما على المستوى السياسي فقد كانت فترة مفعمة بالاضطرابات والتقلبات بسبب تعفن الحكم ،خاصة في فترة حكم **محمد الصادق باي** ،وذلك بإثقال كاهل الشعب بالضرائب، وتفشي المجاعات، وتدخل الدول الأجنبية في الشأن الداخلي لتونس، وخاصة فرنسا التي ظلت تتحين الفرصة لفرض حمايتها على تونس منذ احتلت الجزائر سنة 1830. وقد تم لها ذلك فاحتلت تونس سنة 1881([1])

[1])- ينظر : نفس المرجع ، ص 13

المحاضرة الثالثة :

الشعر الجزائري في ظل التيارات السياسية:

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830 ، واستطاعت بعد أن أحكمت سيطرتها على البلاد أن تكتم الحريات ، و تجهض صوت الإرادة و الأمل ، فقزمت من مستوى اللغة العربيّة و حاربتها في عقر دارها ، كما حاولت بكل قوتها اجتثاث الجزائري من جذوره ، و مرتكزات هويته حتى يسهل الاستحواذ على الأرض واحتلالها إلى الأبد.

فلجأ الجزائري إلى المساجد والزوايا ، التي حفظت له دينه و لغته ؛ و بشهادة الدارسين فإنّ الشعر الجزائري في هذه المرحلة عاش حالة من الانطواء و الانكماش ، كما آثر فريق من الشعراء التكرار و التقليد ، لا التجديد في الأفكار ، و تصوير الواقع بمرارته و ظلاميته تحت نير و عبودية المحتل الفرنسي.

ثمّ جدّت بعد ذلك أحداث ومراحل هامّة من تاريخ الجزائر. فعقب انتهاء الحرب العالميّة الثانيّة ، تطلّع الجزائريّون إلى تغيير واقعهم الحالك أملا في نيل الحريّة واستعادة الأرض المسلوبة " فقد شاركت الجزائر في هذه الحرب (ع2) مرغمة ، وقاتل الجزائريون ، جنبا إلى جنب مع الفرنسيين ، وظنوا أنّهم بذلك قد دافعوا عن الحرية و الديمقراطية ، وبالتّالي سيرد لهم شيء من هذه الحريةلا واليمقراطية ، ولكن فرنسا قلّبت ظهر المجن للجزائر وأخذت تناور وتساوم ، وتبذل الوعود تلو الوعود...ولا شيء بعد ذلك " ([1])

فالجزائريون الذين شاركوا في حرب فرنسا للدفاع عن حريتها واستقلالها من أيدي الألمان النّازيين ، تطلّعوا بعد رجوعهم إلى بلادهم أن يقابل إحسانهم بإحسان ، وبالتّالي ينالوا كبقية شعوب العالم استقلالهم ، ويكون لهم كيانهم الخاص.

وفي هذه الفترة نشطت الأحزاب السياسية ، وبرزت جمعيات وطنية دينية ، وانتشر الوعي السياسي ؛ فتأسّس حزب **نجم شمال إفريقيا** سنة 1926 بزعامة **مصالي الحاج** ، ثم حزب **الشعب**

سنة 1937 ، كما تأسّست **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** بقيادة **الشيخ عبد الحميد بن باديس** سنة 1931 ، وفي سنة 1944 تأسّس حزب **أحباب البيان والحريّة** بزعامة **فرحات عباس،** فتبنّى كلّ حزب وتيار طرحا مغايرا للآخر ؛ فبعضها دعا للحرية والاستقلال كحزب الشعب ، وبعضها نادى بضرورة إصلاح المجتمع ، وتحريره من الجهل والبدع والخرافات كما هو الأمر مع جمعية العلماء المسلمين ، وفريق آثر طرح الاندماج والمساواة مع الفرنسيين وهي طروحات حزب البيان .

كما ظهر عدد لا بأس به من الصحف الوطنية ، الناطقة باللغة العربية والفرنسية ، كصحيفة : (المنتقد ، الشهاب ، السنة ، البصائر ، وادي ميزاب ، صدى الصحراء ، المساواة ، الشريعة..)

[1])- عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، مختارات الإذاعة والتلفزيون ، مكتبة الاسكندرية ، ص17

وكثيرا ما تعرضت الصحف الوطنية للغلق والمصادرة ، لأنها كانت تبث أفكارا ترتبط بمستقبل وراهن الأمة ، فتنادي بالإصلاح تارة وبالمساواة والنّهضة تارة أخرى " ونادى البعض الآخر؛ بحقوق سياسية تحترم الحريات الفردية ، والبعض نادى بالاندماج "([1])

وجاء الشعر معبرا الجزائري معبّرا عن هذه المرحلة ، مصوّرا وراصدا لهذه الأوضاع ، معبّرا عن حال الأمّة ؛ وهي ترزح تحت نير الاحتلال وظلام الجهل والفقر.

فهذا **رمضان حمود**(1906- 1929) ، يدعو قومه إلى الأخذ بأسباب التطور ، ونبذ الجهل ، وترك الكسل والتواكل وذم الدهر ، في حين تركنا ديننا الصحيح ورحنا نلهث وراء الغرب ، لنأخذ عنهم ما يضر ولا ينفع ، ولذلك عاقبنا الله بسوء بطشه ، يقول الشاعر:

علام نلومُ الدهرَ والله عادلٌ * وننسبُ للأيامِ ما هو باطلُ

ونملأُ وجهَ الأرضِ رطبًا ويابسًا * بكاء وهل تجدي الدّموعُ الهواطلُ

ونجزعُ للمكروه من كلِّ حادثٍ * وما ذاك إلاّ ما جنتهُ الأناملُ

فلن يظلم اللهُ العباد بحكمهِ * ولكن كفر المرء للمرءِ قاتلُ

ونزعمُ أنّا مسلمون وديننا * تعيثُ به الأهواءُ والكلُّ ذاهلُ

ونبغي حياة العزِّ والجهلُ دأبنا * وهل نال عزًّا في البسيطة جاهلُ

نسيرُ وراء النَّاعقين تهالكًا * لنحظى ببعض الشيء والشيءُ سافلُ

نرى قولهم حقًّا وصدقًا وحجّةً * وإن جاء منهم تافهٌ فهو كاملُ

نقلدهم كالببغاء تفرنجا * ولم نتبع ما قررته الأوائل

نقلدهم في فسقهم ومجونهم * ولكن سدّا بيننا والفضائل

فكيف يقينا الله من سوء بطشه * وما هو عما يفعل العبد غافل [2]

كما يدعو شعبه إلى السير قدما نحو المجد والعلا ، وترك حياة الذل والخنوع والصغار ، يقول:

موطن الأمجاد.. سيرا للعلا * عشتَ حرًّا يا مقر الفضلاء

ارفع الرّأس وزاحم من علا * واترك الخوف لقلب الجبناء

واترك الحقَّ وطالب ماترى * فيه خيرا لبنيك النّبلاء

لا بذلّ وهوان وصغار * لا بحرب ودمار ودما

---

[1])- عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، ص 18

[2]) – محمد صالح خرفي ، حمود رمضان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص 89 ، 90

بل بسلمٍ وهدوءٍ وهدى   *   وبعلم ونشاط وذكاء [1]

فالأبيات تدلل على أن الشعب الجزائري لم يكن " في يوم من الأيام من عشّاق الدم ، ولا من تجار الحروب ، بل كان في كل فرصة تسنح له ، يطالب بحقّه بالطرق المشروعة ولم يعمد إلى الحرب ، إلاّ عندما استنفد كلّ الحيل ، وطرق كلّ الأبواب ، فأغلقت في وجهه ، ولم يركب المراكب الصعبة إلاّ بعد أن حيل بينه وبين حقّه في الحياة الكريمة والعيش الرّغيد " [2]

ولا يحيد محمد العيد آل خليفة عن هذه المعاني ، بل يعد رائدا فيما يعرف بالشعر الاصلاحي ، فكثيرا ما دعا إلى الوعي ونشر قيم الإسلام الصحيحة ، وتوجيه المجتمع نحو الفضائل والأخلاق الحسنة . وفي هذه القصيدة يحث شباب الجزائر على التطور والتقدم ، كما فعل أجدادهم الذين أسهموا في تطور الحضارة ، يقول :

يا حماة البلاد يا فتية الضا   *   دِ تُرى هل لكم من الرأي مغني ؟

سار جيرانكم مع العصر شوطا * ووقفتم ما بين وهمٍ ووهنِ

تحت شتّى القوى تقاسون منها   *   ما تقاسون من أذى وتجنّي

أين منكم مهابة وانتصافٌ ؟   *   أم سكنتم إلى احتقار وغبن ؟

لا تقولوا : هان الجدود فهنّا   *   ساء نشئ له بهم سوءُ ظنّ

في تلمسان في بجاية في تيهرْ   *   تَ في القلعةِ ازدهى كلّ فنِّ

يوم كانت مهاجر الشّرق والغرب   *   مثابا كمعهد وكحصنِ

وعليها من الملوكِ ذوي العزّ   *   ةِ والبأسِ كلّ سهرانٍ فطنِ

دعّموا البرَّ دعموا البحرَ بالأعْـــ   *   ـلامِ من منشآتٍ مدْنٍ وسفْن

ومشوا في مناكب الأرضِ صيدًا   *   بين جرّارة ملائكِ جـــن

يزعون الشّعوبَ رأيا ورعيا   *   يسوسونها بحكمٍ وإذنِ [3]

فهذا الشعر الإصلاحي بمثابة الشرارة الأولى لذلك الشعر الوطني التحرري ، الذي دعا صراحة إلى التحرر من العدو الفرنسي ، وطرد العدو من أرضنا بالسلاح والجهاد ، لا بالشعرات السياسية والهتافات الجماهيرية .

المحاضرة الرابعة :

[1]) – عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر العربي الجزائري ، مرجع سابق ، ص 20

[2]) – نفس المرجع ، ص 20

[3]) – محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2006 ، ص 394 ، 395

ملامح الحركة الأدبية والفكرية في المغرب الأقصى:

تأخر ظهور النهضة الأدبية في المغرب الأقصى إلى بدايات القرن العشرين ، ومرد ذلك إلى تلك العزلة التاريخية التي ضربها المغرب حول نفسه منذ قرون ، ثم جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، فازداد تقوقعا على ذاته " والمغرب حتى لما كانت السيادة العثمانية تمد رواقها على تونس والجزائر ، كان خارجا عن هذه الوحدة له كيانه الخاص ، ودولته المستقلة ، فبينه وبين ما يجد فيها من أحوال حجاب كثيف . وزاد هذا الحجاب كثافة بعد سقوط الجزائر في قبضة فرنسا سنة 1830 ثمّ تونس سنة 1882 فأصبح المغرب في غيبة عما يجري في العالم من تطورات ن برغم ما يربطه به من روابط متينة " [1]

فالمغرب بعد احتلال الجزائر استشعر الخطر على وجوده ، لكن فرنسا تطلعت إليه كما تطلعت إلى تونس من قبله ، وصار الصراع على أشده بين فرنسا واسبانيا ؛ هذه الأخيرة احتلت مدينة تطوان[2] سنة 1860 ، ثمّ تلتها الحماية الفرنسية للمغرب في 30 مارس 1912 .

في هذه الفترة بادر المغرب إلى جملة من الإصلاحات على الصعيد العلمي الاجتماعي ، وهي:

1/ **البعثات العلمية إلى الخارج** : يتمثل ذلك في إيفاد بعثات طلابية نحو الخارج ، فهناك من أوفدوا صوب المشرق وتحديدا مصر " أيام السلطان محمد الرابع وفي مدة الخديوي سعيد باشا وولده إسماعيل ومن أشهر المتخرجين في هذا العهد من مصر الطبيب عبد السلام العلمي والجغرافي أحمد شهبون وكلاهما ممن أسهم في الحياة العلمية بالتعليم والتأليف ، ويعدان من الطلائع الأولى للنهضة الحديثة ، لأن تعليمهما كان بالعربية " [2]

وبعثات إلى البلاد الغربية منها: فرنسا ، ألمانيا ، بلجيكا ، انجلترا ، اسبانيا .. وتوالت البعثات ، فكانت إحداها تعود لتعقبها أخرى ، وهذا قصد تطوير البلاد بما اكتسبوه من معارف وخبرات .

والملاحظ أن هذه البعثات لم يكن لها الدور الأمثل في التطور والنهضة ، والسبب في ذلك : تكونت تكونا عسكريا تدريبيا ، وثانيهما لم ينشأ لهم مدارس ليعلموا بها ما تلقوه من علم ومعرفة

2/ **تنظيم أجهزة الدولة** : استحدثت في هذه الفترة وزارة المالية والحربية والعدل والخارجية ، ولتكوين جيش قوي ومنظم ، استقدمت الوزارة عددا من الضباط الأجانب ، كما أنشأت معملا لتزويد الجيش بما يحتاج إليه من عتاد ، والقيام بإصلاحات تمس جهاز الإدارة ، لتحويله من جهاز قديم إلى جهاز جديد متلائم مع روح العصر .

3/ **إنشاء المطابع :** للمطبعة دورها في نشر المعرفة ، عن طريق التأليف والترجمة " وقصة دخولها شيقة ، فإن السيد **الطيب الروداني** قاضي **تارودانت** رآها بمصر فأعجبته ، وكان ذهب إلى الحج ، فاقتنى آلتها وتعاقد مع فني مصري للعمل يها ، فصحبه إلى المغرب ، ولما رأى أنّ الدولة

---

[1]) – عبد الله كنون ، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث ، ط4 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،1984 ، ص 17

[2]) – نفسه ، ص 20

أحقّ بها أهداها للسلطان **محمد الرّابع** فقبلها منه وأكرمه بأن ولاه عليها ، وشرع في طبع الكتب المهمة وخاصة الكتب الدراسيّة مما يستعمل في القرويين وفروعها.

وكان يعتني بالتصحيح وينتقي الخطوط الجميلة ، إذ كانت مطبعة حجرية فاكتسبت مطبوعاته سمعة طيبة ، واشتهرت باسم السلطان ، فكان يقال لها مطبوعات المطبعة المحمدية " [1]

كما اقتنى عدد من الميسورين مطابع خاصة سميت بالمطابع الفاسية ؛ لصدورها ببلاد فاس ، ولم يقتصر نشاط هذه المطابع على نشر الكتب المدرسية ؛ بل شمل نشاطها طباعة الكتب الشرعية واللغوية والأدبية وغيرها من الفنون والعلوم ، وإعادة بعث الكتب التراثية.

4/ إنشاء الصحف والمجلات: ظهرت أول جريدة مغربية باسم **المغرب** سنة1889 بمدينة **طنجة** ، وهي جريدة أسبوعية حرة، صدرت عن بعض اللبنانيين ، سرعان ما توقفت عن الصدور ، ثم توالت من بعدها جرائد متنوعة على يد اللبنانيين ، كجريدة المغرب الأقصى سنة 1900 ، وجريدة السعادة سنة 1905 ، ثم مجلة الصباح في 1906 ، وجريدة لسان المغرب في 1907 [2]

وعلى الصعيد الأدبي ، ظلت القصيدة تقليدية الطابع من حيث الصياغة والموضوعات ، ولم يرتق الأدباء في أعمالهم إلى مستوى التجديد والابتكار. وانحصر التأليف غالبا على الموضوعات الدينية والفقهية واللغوية مما يمت بصلة لتلك الدروس التي يتلقاها الطلبة في جامع القرويين وغيره من المعاهد الدينية.

المحاضرة الخامسة :

موضوعات القصيدة التونسية في فترة الاحتلال الفرنسي:

أنشئت في هذه الفترة الصحف والمجلات ،على رأسها الحاضرة ،وجريدة الصواب والزهرة والرقي والتونسي وأبو نواس..وظهرت مجلتي(السعادة العظمى) وقد صدرت سنة1904، ومجلة (خير الدين) صدرت سنة 1906 ،فكان لها أثرها في الحركة الأدبية.

وقد احتل الشعر مكان الصدارة بالنسبة للأنواع الأدبية الأخرى ،وبلغ عدد الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة أكثر من مائة شاعر، بعضهم كتب قصيدة وبعضهم أكثر، ولم يقتصر هذا النشاط على شعراء العاصمة ،وإنما تعداه إلى شعراء الجهات الأخرى من البلاد كما نشرت قصائد لعشرات من البلاد العربية منها: الجزائر، والمغرب ، ومصر,ولبنان..

وهذه الكثرة تدل على تأصل الثقافة العربية في نفوس كتاب هذه المرحلة ، واتصالهم العميق بالتراث الشعري العربي، قبل انتشار اللغات الأجنبية ، وما كانوا يتمتعون به من مواهب فطرية وسليقة أدبية كانت تساعدهم على نظم الشعر في يسر وسهولة.

---

[1]) – عبد الله كنون ، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث ، ص 22
[2]) – ينظر : نفسه ، ص23

ومن أهم الأغراض الشعرية التي شاعت بين شعراء هذه الفترة ؛ المدح والرثاء والتهاني. فالمدح اختص ببايات تونس وولاة العهود والأمراء وكذلك الوزراء ، والرثاء والتهنئة لهم ولأبنائهم وبناتهم في المناسبات الدينية وغيرها.

وفي هذا الإطار كان لا بد أن تشحن هذه القصائد بمضمون الموضوع الذي كتبت فيه، وما يتطلب المديح والرثاء والتهاني من مبالغات ونعوت وأوصاف، وتكلف، وحذلقة لفظية،وافتعال خيال، وإظهار للذلة والدونية ، وإجلال وتوقير للممدوح، أو المرثي أو المهنأ.

هناك أيضا الشعر الديني الذي كتبت فيه قصائد قليلة في مناسبات المولد النبوي الشريف، والأعياد الدينية الأخرى ، وغالبا ما يعمد الشعراء إلى مدح للبايات وغيرهم من أصحاب النفوذ . وبالنسبة لشعر الغزل فقد كان قليل الورود ،وظهوره ارتبط بالمقدمات والمطالع لقصائد المدح كما في الشعر التقليدي.ومن أشهر شعراء هذه الفترة **محمود قابادو**

ومنذ تأسيس جريدة **الحاضرة** وإعلانها عن فتح باب (الشعر العصري)انتحى الشعر التونسي منحى جديدا وأخذ شعراؤه يتنافسون في طرق موضوعات مبتكرة، ومحاولة الخروج عن التقاليد الفنية الموروثة.

وكان أول ما نشرت من الشعر العصري، قصيدة لصالح سويسي القيرواني سنة 1900 ، وكان مضمونها الحماس الوطني، وحث الناس على الاستفاقة والنهوض من السبات السياسي،ودعوة المسلمين إلى إحياء أمجاد الإسلام، وتجديد العهد مع الحضارة ، يقول:

إلى متى أمة الإسلام في كرب * وقد أحاط بكم جيش من النوب

والفكر أضحى من التأخير في تعب * والغير في الجد أما نحن في لعب

ما آن أن تنهضي يا أمة العرب

عمد الشعراء فيما بعد إلى طرق موضوعات اجتماعية وسياسية وإصلاحية ، كالشاعر(محمد الخضر حسين ومحمد الشاذلي خزندار، الطاهر حدّاد..)

إلا أن الشعر الوطني سيبلغ ذروته مع أبي القاسم الشابي، الذي وصف الظلم والاستبداد، والتجبر وثار في وجه الاحتلال الفرنسي ، وتغنى بالحرية والطبيعة على غرار شعراء الرومانسية ، يخطب الاستعمار فيقول:

ألا أيها الظالم المستبد * حبيب الفناء عدو الحياه

سخرت بأنّات شعب ضعيف * وكفّك مخضّبة من دماه

وعشت تدنّس سحر الوجود * وتبذر شوك الأسى في رباه

رويدك لا يخدعنك الرّبيعُ * وصحوُ الفضاء وضوء الصباح

ففي الأفق الرحب هول الظلام * وقصف الرعود وعصف الرّياح

ولا تهزأن بنوح الضعيف * فمن يبذر الشوك يجن الجراح

تأمّل هنالك أنّى حصدتَ * رؤوس الورى وزهور الأمل

ورويّت بالدم قلب التراب * وأشربته الدمع حتى ثمـــــل

سيجرفك السيل سيل الدماء * ويأكلك العاصف المشتعل

وفي قصيدته الشهيرة **إرادة الحياة** ، يدعو شعبه إلى الثورة على المستعمر ،يقول:

إذا الشعب يوما أراد الحياة * فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بدّ لليل أن ينجـــــــلي * ولا بدّ للقيد أن ينكسر

ومن لم يعانقه شوق الحياة * تبخّر في جوها واندثر

ومن يتهيب صعود الجبال * يعش أبد الدّهر بين الحفر

المحاضرة السادسة :

شعر مجازر الثامن من ماي 1945 :

تعتبر هذه المأساة حدا فاصلا بين العمل السياسي ، الذي تمحور حول قضايا المساواة والاندماج، وبين الطرح الذي دعا صراحة إلى تغيير طرائق المواجهة مع فرنسا ، إلى وسائل ردعية تقوم على النضال والكفاح المسلح ؛ فما أخذ بالقوّة لا يسترد إلاّ بالقوة.

ففي هذا اليوم الأغر من تاريخ نضالنا ، خرج الجزائريون بمئات الآلاف في شوارع قالمة وسطيف وخراطة ، في مظاهرات سلمية ، يشاركون العالم فرحته بالانتصار على ألمانيا النازية ، وفي نفس الوقت يطالبون بحقّهم المشروع بالحرية والاستقلال ، وأن تفي فرنسا بتعهداتها ، رافعين لأوّل مرة الرايات الوطنية .

ولم تتأخر فرنسا في الرد ، فكانت تلك المجازر المأساوية ، التّي أودت بحياة ما يقارب من 45 ألف جزائري ، ضف إليها تلك القرى التي أبيدت ، وتلك المساكن التي خربت ، والمئات من المناضلين الذين ألقي بهم في السجون والمحتشدات " وهنا فقط أدرك الساسة الجزائريون – أو البعض منهم على الأقل – أنّ آمالهم في فرنسا قد انهارت ، وأنّ الأساليب التّي كانوا يعتمدون عليها في كفاحهم قد تبخرت ، وأنّها أصبحت غير مجدية بالمرّة ، وأنّ الطريق أصبح واضحا ، والوسيلة أوضح . وأنّ الهدف قد تحدّدت معالمه " [1]

أما عن الشعراء الجزائريين ، فقد هزتهم هذه المجازر هزّا ، ولونت شعرهم بطابع الحزن والأسى تارة ، وبطابع الثورة والغضب من هذا العدو الذي لا يرحم شيخا ولا صبيا ؛ يقول محمد

[1]) – عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث ، مرجع سابق ، ص32

ناصر في هذا المعنى : " لقد تركت المآسي التي شهدتها الجزائر في هذه الحوادث المهولة جراحات عميقة في قلوب الشعراء . لوّنت شعر بعضهم بالحزن والتشكّي ، وعبّأت شعرا آخر بالثورة والتمرّد ، كما ألجأت بعضهم إلى السكوت المطبق. فقد أصابتهم هذه المآسي بالذهول " [1]

ولعلّ من أوائل الشعراء الذين صوّروا بشاعة تلك الأحداث ، وبكوا تلك الأرواح الطاهرة التّي سقطت دفاعا على ثرى هذه الأرض الطاهرة ، كما نقل لنا المشاهد التي عايشها ورآها عن قرب بوصفه واحدا من الذين شاركوا في تلك المظاهرات ، هو الشّهيد **الرّبيع بوشامة**(1916-1959)

فقال ، في نبرة حزن وألم :

قُبِّحتَ من شهرٍ مدى الأعوامِ * يا مايو كم فجعتَ من أقوامِ

شابتْ لهولكَ في الجزائرِ صبيةٌ * وانماع صخرٌ من أذاكَ الطّامي

وتفطّرتْ أكبادُ كلِّ رحيمةٍ * في الكونِ حتّى مُهجَةِ الأيّامِ

تاريخكَ المشؤومُ سُطِّر من دمٍ * ومدامعٍ في صفحة الآلامِ

إن أعلنوا فيكَ السلامَ لقد رموا * بابنِ الجزائرِ في سوءِ ضرامِ

وتناهبوا أموالَهُ وحياتَهُ * وشربوا مهجاتهِ بهيامِ

طلبوهُ للهيجاءِ حتّى حُرّروا * بكفاحهِ..فجزوهُ بنتَ حُسامِ [2]

فالشاعر يلعن هذا الشهر المشؤوم ، ويدعو عليه بالسوء ، لهول ما رآه من قتل ودمار ، تشيب لها رؤوس الصغار ، وتتفطّر لبشاعتها أكباد كلّ رحيمة.

أمّا الشاعر محمد العيد آل خليفة (1904-1979) فقد حركت هذه الأحداث في قلبه مشاعر اللوعة والأنين ، كما فتحت جراحه النازفة ، التي أحدثها هذا العدو بظلمه وقهره ، فيقول :

أأكتمُ وجدي أو أُهدئُ إحساسي * وثامنُ (مايٍ) جرحةُ ما له آسِ

وأرقبُ ممن أحدثوهُ ضمادةً * وهم في جماحٍ لم يميلوا لإسلاسِ

تمرُّ اللّيالي وهو يدعى فلم نجدْ * لهُ مرهمًا منهم سوى العنف والباس

إذا ما رجونا برأَهُ ثرَّ دافقًا * بأحداثِ سوءٍ وقعُها مؤلمٌ قاسِ

فظائع (ماي) كذّبتْ كلَّ مزعمٍ * لهم ورمت ما روّجوهُ بإفلاسِ

فيا لجريحٍ ظلَّ ينكأُ جرحهُ * ويؤذى بلا ذنب على أعيُنِ النّاسِ

---

[1]) - محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية ، مرجع سابق ، ص 94

[2])- عبد الله ركيبي ، مرجع سابق ، ص34

يضجُّ ويستعدي بغير نتيجةٍ * ويشكو بلا جدوى إلى غير حسّاس

سئمنا من الشكوى إلى غير راحم * وغيرِ محقٍّ لا يدين بقسطاس

ولا خير في عدّ المظالم وحدها * إذا لم تَبن عن مرهفاتٍ وأتراسِ [1]

يخلص الشاعر إلى حكمة مفادها : لا خير في الشكوى والبكاء إلى عدو سلبنا حقّنا ، ونهب أرضنا ، لا يملك قلبا حسّاسا ولا نفس شفيقة ، ولتحقيق العدالة علينا أن نحتكم إلى منطق القوة والمجابهة والسّلاح .

المحاضرة السابعة:

الشعر التونسي بعد الاستقلال:

انقسم الشعر في فترة ما بعد استقلال تونس -1956- إلى تيارين بارزين:

1/ الشعر الكلاسيكي: أكثر ممثلي الشعر في هذه الفترة بعد الاستقلال من الشعراء المخضرمين ؛ولقد أصبح هؤلاء في ظل الدولة التونسية الوليدة يشكلون الفئة المثقفة المقربة من السلطة ، والملاحظ أن جلّ دواوين هؤلاء الشعراء قد نشرت بعد الاستقلال وقد تضمنت لهذا السبب أكثر قصائدهم التي نظموها في عهد الاستعمار، وأما أشعارهم الجديدة لا تتعدّى أن تدور حول المحاور الثلاثة التالية: الحزب والدين والوجدان

الحزب: ويتمثل ذلك في تمجيد نضال الحزب الدستوري قبل الاستقلال وبعده وامتداح قائده **الحبيب بورقيبة** ،ويمكن القول إنّ أحمد اللغماني هوأكثر الشعراء إجادة في هذا الغرض ويليه في المرتبة كل من الهادي نعمان والشاذلي عطاء الله

الدين: يضم شتى ألوان الشعر الديني من ابتهالات ومدائح للرسول صلى الله عليه وسلم وإحياء الذكريات الإسلامية ، وأبرز شعراء هذا الغرض: الناصر الصدّام، ومصطفى المؤدب والحبيب المستاوي.

الوجدان: يشتمل على مختلف موضوعات الوجدان من حب وغزل وفراق..ويمتزج بوصف الطبيعة وجمالها ، وغالبا ما تصور المشاعر بأسلوب تقليدي تطغى عليه التشبيهات والاستعارات.

2/ الشعر الكلاسيكي الجديد:

مصطلح الكلاسيكية الجديد من المصطلحات الغامضة في الأدب.ويقصد به التعبير عن الأغراض القديمة (عربية أوغربية) باستخدام أشكال جديدة في التعبير.

ومن شعراء هذا الاتجاه(الصادق مازيغ، أحمد اللغماني،محسن لن حميدة..) هذا الأخير طرق موضوعات تقليدية كالمديح والاجتماعيات والوجدانيات في شكل الشعر الحر.

[1]) - نفس المرجع ، ص 35

ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه محي الدين خريف،وإن اختار شكل الشعر الحر وعاء لهمومه الذاتية المصطبغة بأصباغ الكآبة والحزن ،فقد حافظ في دواوينه الستة على متانة العبارة وصلابتها وشفافيتها وعلى أصالة الصورة الشعرية باستنباطها من التراث.

ومن أهم القصائد التي يستغل فيها رموز التراث وصوره ؛قصيدة "ألواح يعقوب" ومما قاله:

أرسم سهلا أرسم مرجا أرسم قطعانا نرتع في

الشعب الأخضر

ومياها تضحك في ثغر الجدول

فغدا ستجيء سنون سبع

وستأكل ما خبّأت وما وسعت اهراؤك من قمح

وأنا سأعود لأضرب في شطّ الملح

وأدقّ كما قد كنت بجمعي البوابات

وأغنّي مع ركب الفجر

هيهات على ما فات

وهناك من الشعراء من انتصروا لقضايا أمتهم ، وثاروا ضد احتلال فلسطين واغتصاب ، وتهجير أهلها، يقول الميداني بن صالح عربي في قصيدته" جيل النكبة":

أجيل النكبة الحائر

وآمال الملايين وبحة شعبنا الثائر

...قيودك ثر ومزّقها

وأهدافك أنشدها

وأرواح ضحايانا بأرض القدس خلّدها

بأرض السلم والتين

...وغصّات المساكين

بأرض العرب أجدادي

وأعمامي وأخوالي وأحفادي [1]

[1] ـ ينظر: تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر- مرجع سابق – ص104، حتى 114

المحاضرة الثامنة :

موضوعات الشعر المغربي في فترة الحماية الفرنسية :

تباينت الموضوعات التي تناولها الشعراء في فترة الحماية الفرنسية ، من الدعوة إلى الإصلاح الديني والنهوض بالحياة الأخلاقية والتربوية للمجتمع ، والحثّ على النهضة العلمية والتطور الحضاري ، ووصف بعض المنشآت والمكتشفات ؛ خاصة تلك الموجودة في البلاد الأوربيّة ، الدعوة على الثّورة ضد العدو الفرنسي والتحرر من أسره ، أو التعبير عن بعض القضايا والأحداث السياسية سواء في بلادهم أو بلاد المسلمين مشرقا ومغربا ..

ومن أوائل هذه الأصوات ما انبعث من أديب موهوب هو : **أبو عبد الله محمد السليماني الغريسي** الأصل (أصله من الجزائر) ،الفاسي المولد عام 1280 ه ، المتوفيّ عام 1344 ه

ومن شعره الإصلاحي الوطني ، وفيه يشحذ الهمم ، ويدعو شعبه للاستفاقة من غفلته ، وينعى على العلماء تقاعسهم وعجزهم وتركهم لكتاب الله وسنة نبيّه المصطفى واتباعهم للغرب في كل صغيرة وكبيرة ، حتّى صار حاضرهم إلى خزي وهوان ، يقول في قصيدته " **حماة الدين** " :

دعيني من مراشفة الرّضاب * وعدّي عن ثناياك العذاب

وعاطيني صريح النصح صرفًا * فعزُّ الدّينِ آذنَ بانسحابِ

وخلّي عنكِ أيّامَ التَّصابي * فتلكَ خديعةُ الغضِّ الشّبابِ

فلا مدحٌ يصيخُ إليه سمعي * ولا غزلٌ لديَّ بمستطابِ

ولستُ إلى النّسيبِ أهشُّ كلاًّ * فإنّ وراءَهُ لمعُ السّرابِ

ولا الأزهارُ ينعشني شذاها * وكيفَ يعيشُ مهضوم الجنابِ

أليستْ أمتي فقدت حِجاها * وهذا عزُّها وشك الذهابِ

وهذا صبحُها يحكي مساءً * غزالتُها توارتْ بالحجابِ

حماة الدّينِ هبّوا من سباتِ * فمركزُنا يؤولُ إلى الخرابِ

تركنا الدين خلْفًا لا نبالي * ولم نترك لنا غير انتسابِ

يقول الشّامتون هم أضاعوا * كتابهم ويا حسنَ الكتابِ

أما ترك الرّسولُ لنا وصايا * تقود المسلمين إلى الصوابِ

فطال العهدُ واخترنا سواها * ويا لحيائنا يومَ الحسابِ

فوا أسفا على حالٍ حدتنا * إلى أن أوقعتنا في الخرابِ [1]

أما الشاعر **أحمد النّميشي** ، وهو من مواليد فاس سنة 1308 ه ، فنراه يحثّ شباب أمته على طلب العلم ، حتى يبلغ أسمى المعالي ، ويدعوه في نفس الوقت إلى الاستمساك بحبل الله المتين ، والعمل بأوامره وتوجيهاته ، فيقول:

العلم أجل حليةِ الإنسانِ * فاسعوا إليهِ معاشرَ الشّبانِ
وردّوا بشوقٍ مترعاتٍ حياضُهُ * متسابقينَ تسابقَ الظمآنِ
واسعوا بإسراعٍ لقطفِ ثماره * من قبل فوتِ الوقتِ والإبانِ
وتنافسوا في نيل كلِّ فضيلةٍ * وتشبّثوا بأوامر القرآن
وعلى عقائدِ دينكم فتحافظوا * إن كنتم تسعون للإيمانِ
كم زلَّ في درك الشقاوةِ مُلحدٌ * ونجا المقرُّ بوحدة الرّحمانِ
فالدين أسّ صلاحنا ونجاحنا * والدين أصل سعادة الأوطانِ
فإن اتخذناهُ دليلا هاديا * سلمت تجارتُنا من الخسرانِ
وإذا هجرنا حُكمهُ وعِظاتهِ * كنّا بموتتنا على إيقـــــانِ [2]

أما الشاعر أحمد الصبيحي ، وهو من مواليد **سلا** سنة 1300 ه ، أديب وفقيه ، ترك من المؤلفات ما يربو على العشرين كتابا .

له قصيدة وطنية إصلاحية ، يدعو فيها أمته إلى ترك حياة الخمول والكسل ، ويلحّ على استنهاض الهمم وطلب العلم والمعرفة ، والرجوع إلى ديننا الصحيح والعمل بما جاء فيه من أحكام تصلح للدارين ؛ دار المعاش ودار المعاد . يقول :

بني وطني هبّوا من رقاد * وجدّوا في المعاش وفي المعاد
إلى الدين القويم أخي المعالي * إلى العلمِ المبلّغ للرشادِ
إلى سعيٍ بذي الدّنيا لِكسبٍ * تزاحم فيه إقدام العبادِ
فلاحٌ في الفلاحة لاحَ لكن * بعلمٍ واختبارٍ واجتهادِ
ولا تنسَ اتّجارًا واصْطناعا * ونهجًا في مناهجِ الاقتصادِ
فذي أسبابُ حقٍّ في ترقٍ * إلى مرقى السّعادةِ في البلادِ

[1]) – محمد بن العباس القبّاج ، الأدب العربي في المغرب الأقصى ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، 1426 هـ ، 2005 ، ص 40 ،41
[2]) – محمد بن العباس القباج ، مرجع سابق ، ص70

عليها بالنّواجذِ فلتعضُّوا * لكيلا تسقطوا بين الوهادِ [1]

وهذه النماذج الشعرية إنما هي فيض من غيض ، فالموضوعات كما ألمعنا سابقا متنوعة، تعبر عن قضايا الواقع ، وتصور آمال الشعراء في تغيير حال أمتهم إلى حال أحسن ، والملاحظ في هذه الفترة أن أغلب الشعراء فقهاء ، ومن خريجي جامع القرويين ، لذلك غلبت على أشعارهم النزعة التقليدية ، كما أن اللغة رصينة وأصيلة غالبا لأنهم ينهلون من لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ؛ ولذلك قلما عثرنا على قصائد حديثة متجددة في المبنى والمعنى .

---

[1]) – محمد بن العباس القباج ، الأدب العربي في المغرب الأقصى ، ص 57 ،58